

## الآليات النفسية المفسرة للصدمة

### Trauma et processus psychiques

تقول آنا فرويد Anna Freud<sup>1</sup> أن كل عمل دفاعي هدفه التوصل إلى أمان الأنا و تجنب اللالذة/déplaisir .  
في حالة الصدمة النفسية يواجه أنا الفرد/le Moi du sujet تراكما للاستشارات ويحاول توقيفها عبر الآليات الدفاعية الاعتيادية، الطريقة الثانية لمواجهة هذه الاستشارات هي النشاط الحسي الحركي (الجانب السلوكي) في حالة عدم تهيئ هاتين الطريقتين تنتشر الاستشارة عبر كامل الجسد.  
من الآليات النفسية الأكثر تداولاً في أدبيات الصدمة النفسية، نذكر:

#### ➤ اضطراب التكرار/Compulsion à la répétition: تطرق سيغمند فرويد Sigmund<sup>2</sup>

**Freud** إلى اضطراب التكرار كمبدأ للسير النفسي و علاقته مع نزوة الموت، حيث أن التجارب المعاشة عن طريق اضطراب التكرار لا تولد إلا الشعور باللالذة للأنا ، لأن هذا الاضطراب يستحضر نزوات مكبوتة (p.59-60) . و يواصل Freud قائلاً : " فعلاً يوجد في الحياة النفسية اضطراباً للتكرار يتموقع فوق مبدأ اللذة. يمكننا أن نرجع إلى هذا الاضطراب أحلام عصاب الحوادث و اندفاع الطفل إلى اللعب'(p. 63) . إبتداءاً من هاذين المفهومين نرى دور عملية اضطراب التكرار في تكوين الأحلام عند ضحايا الصدمات.

كما يقول فرنكزي Ferenczi<sup>3</sup> أن « كل حلم مهما كان مرفوقاً باللالذة هو محاولة للتحميل و التحكم في الحوادث الصادمة، إذا البقايا اليومية هي انطباعات نفسية تميل إلى التكرار بحكم انها غير محللة و غير متحكم فيها » (p.38).

تحدث R.Diatkine عن التكرار الهذيانى للحدث الصادم (Répétition Hallucinatoire de l'expérience traumatique) و الذي تقارنه ' بكتلة منعزلة في النظام النفسي للفرد، و الذي يحدث نتائج مختلفة : كف ، قلق منتشر ... إنه الوصف العيادي الذي يصاحب تكرار الحلم في حالة عصاب

<sup>1</sup> Anna Freud (1949). Le Moi et les mécanismes de défense. PUF

<sup>2</sup> Sigmund Freud. (1920). Au-delà du principe du plaisir. Payot.

<sup>3</sup> Sandor Ferenczi, S (1932). « Confusion de langues » in : Œuvres complètes de psychanalyse vol IV, 1927-1933, PAYOT.

الصدمة يأخذ اضطراب التكرار كل المجال النفسي، إذ تصبح الذكرى بمثابة عمل تصور عظيم يجذب إليه أكبر رصيد من الاستثمار و يصبح ما تبقى من النشاط النفسي مخصصا لتسيير الأشياء اليومية على المدى القصير . و تمثل آلية اضطراب التكرار طريقة دفاعية يلجأ إليها الأنا قصد محاولة إدماج الحدث الصادم إلى مجمل التصورات.

ان اضطراب تذكر الحدث الصادم سواء في الحياة اليومية او العلمية والهوامية (اللعب) يمثل محاولة ربط و ترميز يقوم بها الأنا كالعامل الذي ي قام به في حالة عصاب الصدمة كمحاولة لسد الفراغ الذي يسود الساحة التصويرية للفرد. كما يمكننا أن نلاحظ نمطا آخر للاضطراب أو التكرار او عن طريق العكس/ *par renversement* نلاحظ أن الفرد في حالة صدمة نفسية معاشة بطريقة سلبية، يحاول تكرار التجربة حيث يصبح هو العنصر الفاعل (تفسير الاتجاه من السلبي إلى الايجابي، ( Conversion ) كمحاولة التحكم في العواطف المعاشة ، و الذي أطلقت عليه أنا فرويد اسم التماهي بالمعتدي *Identification à l'agresseur* و الذي هو انعكاس للصدمة أين يصبح التكرار موجها نحو الغير.

### ➤ انقطاع سلسلة التصورات/ *Rupture dans la chaine associative*

عندما نتحدث عن التصور يبعث بنا إلى التحدث عن عمل الترميز و الذي يعرفه B.Chouvier (1997) بالقدرة على الربط اللين و القابل للانعكاس بين مختلف التصورات و كذا بين مختلف مستويات و أنواع التصورات (Ibid .P.15) . و يتحدث B.Chouvier عن خرق في التطور النفسي للطفل و الذي يؤدي إلى طمس فضاء الترميز و بالتالي اختلال العمل التصوري.

يعرف بارجوري *Bergeret* الخيال بالقدرة على خلق هوامات و هواجس و احلام تمثل الصورة الحية لمكانة الفرد في محيطه وكذا علاقته و تعاملاته مع الآخرين . فاللعب عند الطفل يعتبره Winnicott ذو دور علاجي إذ يعطي مجالا هاما تستحضر فيه الصراعات الداخلية عن طريق دعائم تمثلها أشياء خارجية.

انقطاع الخط الرابط بين التصورات يتم عن طريق عزل التصور غير المحتمل و الذي يتجسد في صعوبة التفكير و التركيز كميكانيزم ضد الصدمة النفسية، ما يحدث فراغ فكريا يتمثل في غياب التداعيات أو التصورات و الربط ما بينهما.

- عزل التصور ← إمكانية النسيان ← تؤثر في عملية التركيز و التفكير  
تراجع في الدراسة ← فقر في التعبير<sup>4</sup>

**ملاحظة:** الرسم وسيلة تساعد الطفل على التحدث في حالة الصدمة و تساعد على تفعيل عمل الربط في حالة الصدمة، الطفل يجب ان يستعد حياة الطفولة (اللعب، و الرسم) ثم الكلام و الحوار يساعد على استعادة عمل الترميز و التصور من أجل فهم التجارب و دمجها في الحياة النفسية و تخفيض الانقطاع في سلسلة التصورات.

في حالة الصدمة النفسية لا تكون الاليات الدفاعية الاعتيادية فعالة، عندها يقوم الفرد بتجنيد اليات دفاعية أكثر بدائية من أجل مواجهة هذه الوضعية غير الاعتيادية و بلورتها: الانشطار و رفض الواقع من أجل قطع/ بتر جزء من النفس للاستمرار في الحياة للعيش وكأن شيئاً لم يحدث.

كما أثبتت بعض الدراسات أن عدم المرونة في استعمال الاليات الدفاعية / آليات دفاعية من نفس النوع مستعملة بطريقة متكررة و حصرية، يمكن أن تسمح لنا بالتنبؤ بتطور حالة من إجهاد ما بعد الصدمة بعد التعرض للحدث "استثنائي".

---

<sup>4</sup> نسيمه رماس ، خصائص تصور الذات عند الأطفال ضحايا الاعتداء الجنسي.رسالة ماجستير تحت إشراف الأستاذة الدكتورة شريفة بوعطة- 2010، جامعة الجزائر2.